

25

وله أسلم من في السموات والأرض

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
إشراف : أ. حمدى مصطفى

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٦٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٦٩٢٧٠٠٢



وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ

قالَ (تعالَى) :

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ
وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾
قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ
وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ
مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران : ٨٣ ، ٨٤]

اخْتَلَفَ كَعْبُ بْنُ الأَشْرَفِ وَأَتْبَاعُهُ مِنَ الْيَهُودِ مَعَ النَّصَارَى فِي إِبْرَاهِيمَ عليه السلام ، فَقَالَ كَعْبٌ :

ـ إنَّ إبراهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هوَ نبِيُّ الْيَهُودِ ، ونَحْنُ أَحَقُّ به منكُمْ .

فَغضِبَ النَّصارَى وقالوا :

ـ بلْ نحنُ أَحَقُّ بإبْراهِيم منكُمْ ، فأَنْتُمْ قَتَلَةُ الأَنْبياءِ ، وقدْ قال الرَّبُّ عنْكُمْ : إنكُمْ غِلاَظُ الرَّقَبَة .

وأَضافَ النَّصارَى قائِلينَ :

ـ يكْفِي أَنكمْ قَتلْتُمْ فِي سَنةٍ واحِدةٍ سبْعينَ نَبِيًّا وكَذَّبْتُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو مازَالَ حَيًّا بيْنَكُمْ .

وتأَزَّمتِ الأُمورُ بيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ، وكادَا

يقْتَتِلانِ ، فاقْتَرَحَ واحدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَتَوقَّفُوا عنِ الْجِدالِ فوْرًا وقالَ :

ـ كَيْفَ نَخْتلفُ على إبْراهِيمَ عليه السلام هذا الاخْتِلافَ ، وهُناكَ مَنْ يَسْتطِيعُ أَنْ يَحْسِمَ هذا الْخِلافَ بما لَدَيْهِ مِنْ عِلْمٍ ومَعْرِفةٍ ؟

فسأَلوهُ فى لَهْفَةٍ :

ومَنْ يكونُ هذا الشَّخْصُ ، وقدْ جَمَعْنَا عُلَماءَ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ فلمْ نتْرُكْ واحِدًا مِنْهُمْ ؟

فقالَ الرَّجُلُ :

إنَّ الشَّخْصَ الذى أَقْصِدُهُ ليْسَ مِنْ عُلماءِ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ .

فقالُوا :

ـ فمنْ يكونُ إذَنْ ؟

فأجابَ :

ـ إنه محمدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ !

فتعَّجبَ الْحاضرونَ وبدَتِ الدَّهْشَةُ على وُجُوهِهم وقالوا :

ـ مُحَمد ؟ إنهُ عَدُوُّنَا .

فقالَ الرجُلُ :

ـ صدَقْتُمْ ، ولكنْ هلْ يشُكُّ أَحَدُكمْ فى صِدْقِه وأَمَانَتِه وعِلْمِه ؟

فقالوا :

ـ اللَّهُمَّ لاَ .

قال :

ـ إِذنْ فَحَسْمًا للْخلاف ، وتَجَنُّبًا للْقتالِ وإراقَةِ الدِّماءِ أَرَى أَنْ نذْهبَ إِلَيْه ونعْرِضَ عليْهِ الأَمْرَ .

كانَ الْحاضرون برَغْمِ كراهِيَتِهِمْ لرسولِ اللَّه ﷺ ، وعَدَاوَتِهِمُ الشَّديدَة له ، يَعْلمونَ أَنَهُ لا يَكْذِبُ ولا يعْرِفُ الْمُراوَغَةَ ، وكانوا يُقِرُّونَ له بالْعِلْم والْمعرفَةِ وسَعَةِ الأُفُقِ ، فوافَقوا على الاحْتِكامِ إليهِ والرِّضا بِحُكْمِهِ الْفاصلِ فى هذا الأَمْرِ .

وذَهَبَ الْيهودُ والنَّصارَى إلى

رَسولِ اللَّه ﷺ ، وما إنْ رآهُمُ الْمُسْلمونَ حتى قالوا في دَهْشَةٍ :

ـ مـا الـذي جـاء بِكُمْ إلى بيتِ رَسولِ اللَّه ﷺ ، وماذا تُرِيدُونَ مِنْهُ ؟

فقَالُوا :

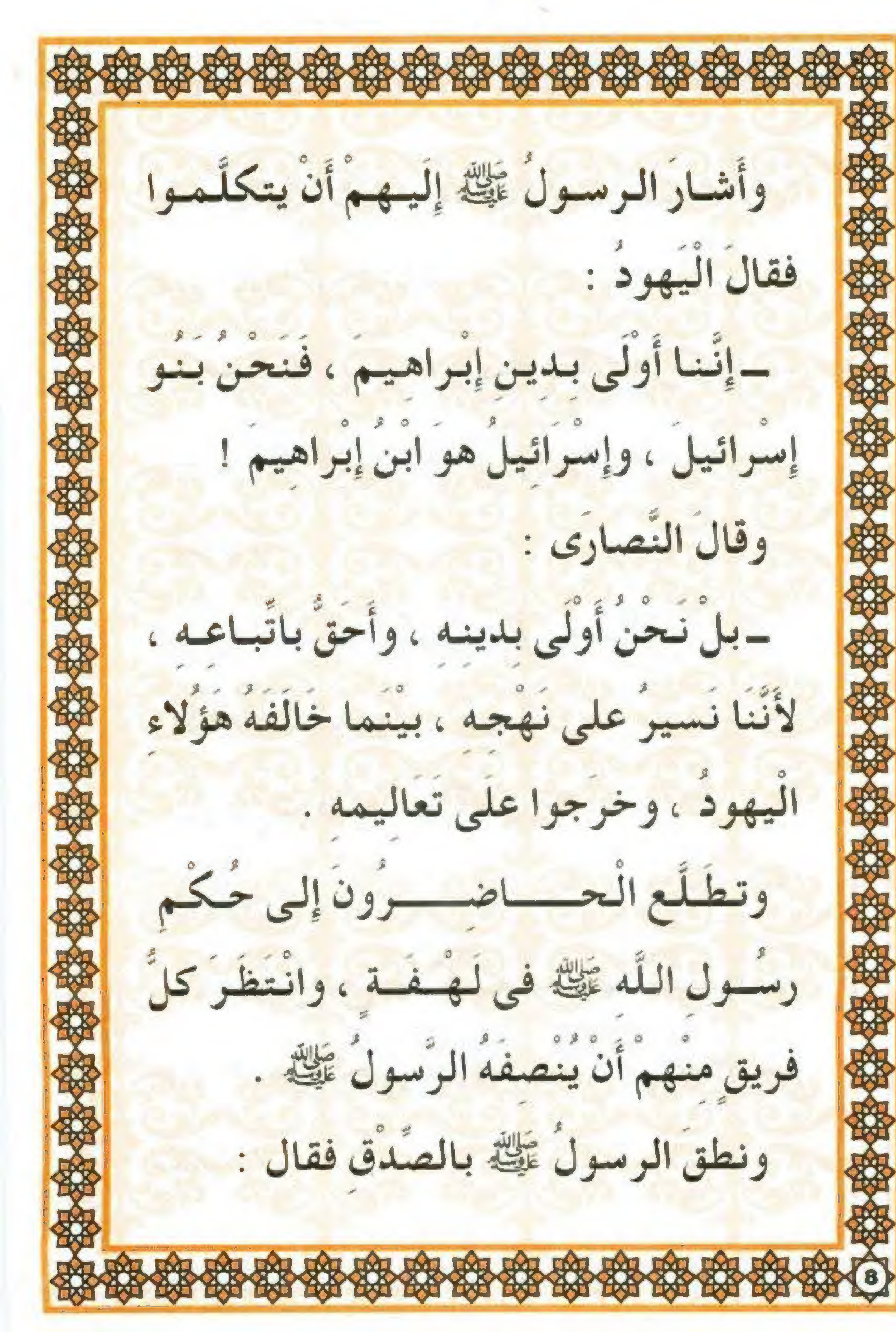
ـ نُرِيدُ أنْ نَحتَكِمَ إلَيْهِ في مَسْأَلَةٍ .

فقالَ الْمسلمونَ :

ـ وهلْ تَرْضَوْنَ بِحُكْمِهِ ؟

فقالُوا :

ـ نعمْ نَرْضَى بِحُكْمِهِ ، فقدْ أَتَيْنَا إلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ لِكَيْ يَحْكُمَ بَيْنَنَا في قَضِيَّةٍ مُهِمَّةٍ .



وأَشارَ الرسولُ ﷺ إِلَيهِمْ أَنْ يتكلَّموا فقالَ الْيَهودُ :

ـ إِنَّنا أَوْلَى بدينِ إِبْراهيمَ ، فَنَحْنُ بنو إِسْرائيلَ ، وإِسْرَائِيلُ هو ابْنُ إِبْراهيم !

وقالَ النَّصارَى :

ـ بل نَحْنُ أَوْلَى بدينِه ، وأَحَقُّ باتِّباعِه ، لأَنَّنا نَسيرُ على نهجِه ، بينَما خالَفَهُ هؤُلاءِ الْيهودُ ، وخرجوا علَى تَعاليمه .

وتطَلَّع الْحاضِرونَ إلى حُكْمِ رسُولِ اللَّه ﷺ فى لَهْفَةٍ ، وانْتَظَرَ كلٌّ فريقٍ مِنهم أَنْ يُنْصِفَهُ الرَّسولُ ﷺ .

ونطقَ الرسولُ ﷺ بالصِّدْقِ فقال :

ـ كِلاَ الْفريقَيْنِ بَرِىءٌ منْ دِينِ إبْراهِيمَ .

ومـا إنْ سـمِعَ الْيـهـودُ والنصَارَى ذلكَ حتَّى أَبْدَوْا غَضَبَهُمُ الشَّدِيدَ ، وتحوَّلَ مَوْقِفُهُمْ وقالوا فى غَضَبٍ :

ـ واللَّهِ ما نَرْضَى بقَضائِكَ ، ولا نأْخُذُ بدِينِكَ !

وهَمَّ الْمسلمونَ أنْ يَفْتِكُوا بِهؤُلاءِ بِسَبَبِ سُوءِ أَدَبِهِمْ مَعَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، لكنَّ الرسولَ ﷺ أَشارَ إلَيْهِمْ بالتَّوَقُّفِ عنْ ذلكَ .

وأَنْزَلَ اللَّهُ (تعالى) علَى نَبِيِّهِ ﷺ مُؤَيِّدًا

إِيَّاهُ ، ومُوافقًا له ، قولُهُ (تعالَى) :

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾
قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ
وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ
مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾

[سورة آل عمران : ٨٣، ٨٤]

لقــد أوْضَحَ اللَّهُ فى هذه الآيةِ أنَّ الدِّينَ الْحَقَّ هُو دِينُ الإسْــلامِ وكلُّ الأَنْبيــاءِ والْمُرْسَلين الذين بعَثَهُمُ اللَّهُ ، دَعَوُا النَّاسَ إلى دِينِ الإسْلامِ ودينِ التوحيد .

فما مِنْ نَبِيٍّ جاءَ قَوْمَهُ إلا وقال لهمْ :



﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾

[سورة المؤمنون : ٢٣]

إنَّ الإسلامَ معْناه التَّسْليمُ للَّهِ ، والإسْتِسْلامُ والانْقِيادُ والْخضوعُ له ، وكُلُّ مَخْلوقٍ فهو مُنْقَادٌ للَّهِ ومُسْتَسْلِمٌ لهُ ، طَوْعًا وكَرْهًا .

وأَفْضَلُ الانْقِيادِ والْخُضُوعِ للَّهِ ما كانَ عنْ رِضَا نَفْسٍ وطِيبِ خاطِرٍ وإيمانٍ عَميقٍ .

قالَ ﷺ :

ـ لاَ تَسُبُّوا أَصْحابِى ، فإنَّ أَصْحابى أَسْلَمُوا مِنْ خَوْفِ اللَّهِ ، وأَسْلَمَ الناسُ مِنْ خوْفِ السَّيْفِ .

وتوضحُ الآيَةُ الكريمةُ أنَّ المسلمين يُؤْمِنونَ بما أَنْزَلَهُ اللَّهُ (تعالى) على كُلِّ أَنْبيائِه ، يؤْمِنُونَ بآدَمَ وإبراهيمَ وسُلَيْمانَ وداودَ ومُوسَى وعِيسى ومُحمدٍ صلواتُ اللَّهِ وسَلامُهُ عليهم أجْمعِينَ ، فهمْ لَمْ يأْمُرُوا إلا بالْحقِّ ولم يَنْهَوْا إلا عن الْباطِلِ ، ولا يفرِّقُ الْمسلمُونَ بينهُمْ ، بلْ يؤْمِنون بهمْ جميعًا ويصلُّونَ عليهمْ ويستغْفِرون لهمْ .

قالَ (تعالى) : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٥]

وتُشيرُ الآيةُ إلى حَقيقَةٍ مُهمَّةٍ ؛ وهىَ أَنَّ اتِّباعَ الأَنْبياءِ والإيمانَ بهِمْ والانْتِماءَ إِليْهِمْ لا يكونُ بالْكَلامِ ، بلْ يَجِبُ أَنْ يكونَ بالسُّلوكِ والْفِعْلِ .

فقدْ زَعَمَ الْيهودُ أَنهم أَوْلَى بِدينِ إِبْراهِيمَ ، وزَعَمَ غَيْرُهم أَنْهمْ هُمُ الأَوْلَى بدينِهِ ، ولَمَّا عُرِضَ الأمرُ على رسولِ اللّهِ ﷺ قالَ فى حزمٍ :

ـ كِلاَ الْفريقَيْنِ برىءٌ مِنْ دِينِ إِبْراهيم .

ونحْنُ الْمسلمينَ إِذا كُنَّا صادِقِينَ فى إِيمانِنا بالرَّسُولِ ﷺ وإِتِّباعِنَا لسُنَّتِه ، علينا

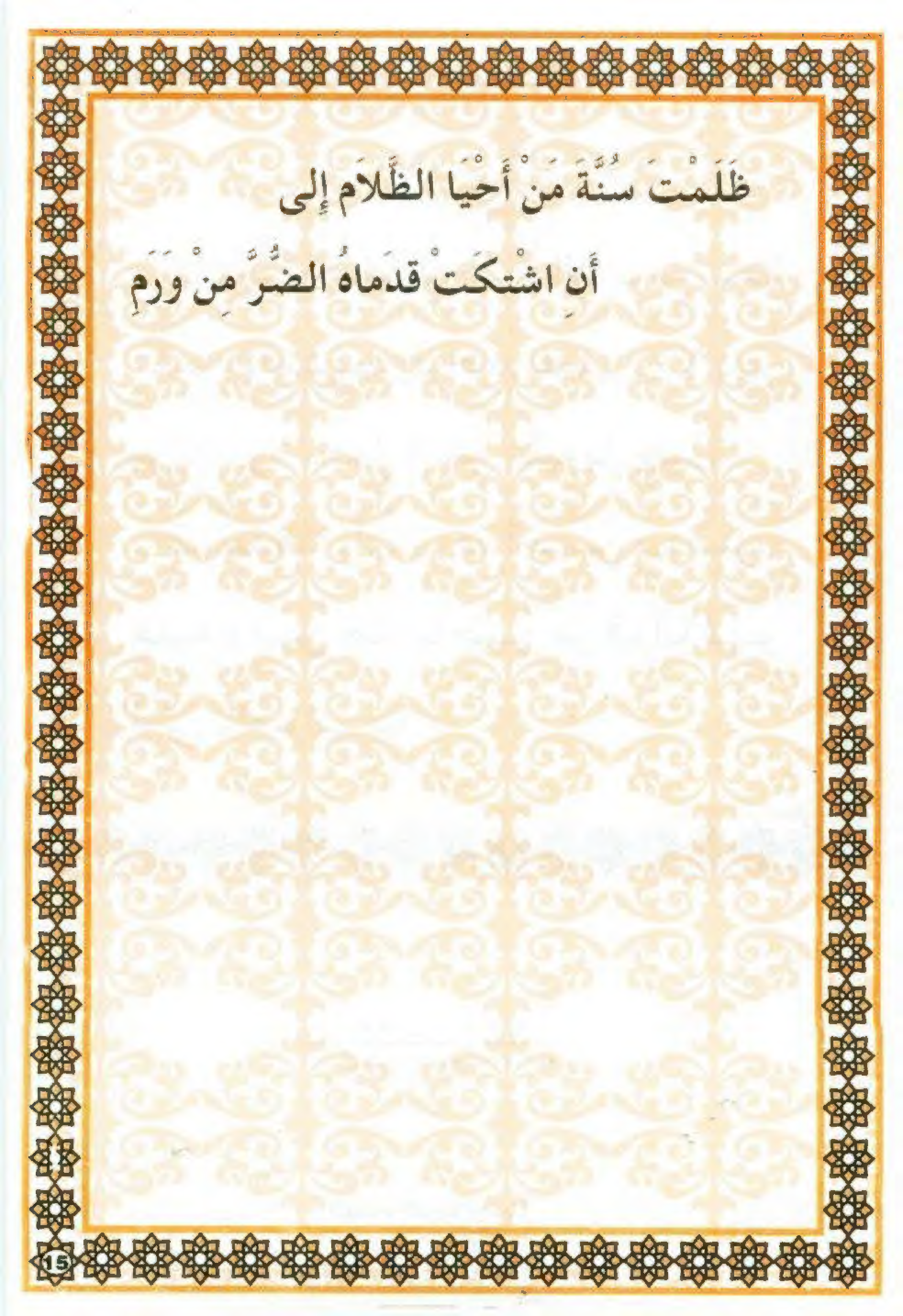
أَنْ نُبَـرْهِنَ على ذلكَ بسلُوكنا وأَعْـمـالِنا وأقْوالِنا .

ألمْ يقُلْ رسولُ اللَّهِ ﷺ :

ـ مَنْ غَشَّنَا فلَيْسَ منّا ؟

ومعَ ذلكَ نجِدُ الْكَثيـرَ مِنَ الْمسلِمينَ يَقَعُونَ فى هذه الْمُخَالَفَة .

لقَـدْ نهـانَا الرسـولُ ﷺ عَنِ الْحِـقْـدِ والْحَسَـدِ والْبَـغْضَاءِ ، وأَمَـرنا بالْحُبِّ والتَّسَامُحِ واللِّينِ والرحمة ، فهَلْ حَقَّقْنَا مَا أَمَرَنَا بهِ الرَّسولُ ﷺ وانْتَهَيْنَا عمَّا نَهانَا عَنْهُ ؟



ظَلَمْتَ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظَّلَامَ إِلى

أَنِ اشْتَكَتْ قَدَمَاهُ الضُّرَّ مِنْ وَرَمِ

التَّواضُعُ

كانَ أَبو حَنيفةَ - رحِمَهُ اللهُ - مع سعةِ عِلْمِه ودقَّةِ فَهْمِه يتواضَعُ للعِلْمِ ، ولا يغْتَرُّ برأْيِهِ ، ولا يحْمِلُ الناسَ عليهِ بلْ يقولُ :

قولُنا هذا رأْيٌ ، وهو أَحسَنُ ما قَدَرْنا عليهِ ، فمنْ جاءَ بأَحْسَنَ مِنْ قوْلنا فهوَ أَوْلَى بالصَّوابِ مِنَّا .

رقم الإيداع : ٩٢٠٩ / ٢٠٠١

الترقيم الدولي : ٧ - ٦٣٦ - ٢٦٦ - ٩٧٧

المطبعة العربية الحديثة

٨ ، ١٠ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية بالعباسية

القاهرة - ☎ ٦٨٢٣٧٩٢ - ٦٨٢٥٥٥٤